الأضرحة بالجزائري خلال العهد العثماني

أ.د/ عبدالقادر دحدوح•

الملخص:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني بناء العديد من الأضرحة، وهي تعد من المعالم الأثرية التي لا تزال باقية إلى يومنا هذا تحتفظ بتخطيطها المعماري والفني، ومن خلال تلك الأمثلة يمكن التعرف على عدة أنماط تخطيطية لهذا النوع من العمائر بالجزائر خلال العهد العثماني، حيث يظهر النمط المربع فوقه قبة، ونمط مستدير فوقه قبة، ونمط مفتوح مشكل من دعامات أو أعمدة فوقها عقود تعلوها قبة، وقد يكون الضريح يتشكل من تقسيمات معمارية إضافية مثل ضريح سيدي عبدالرحمن بمدينة الجزائر الذي يضم مسجدا له مئذنة.

وهي الجوانب التي نود الوقوف عليها في هذه المداخلة، لنوضح الأنماط المعمارية للأضرحة وتراكيب وشواهد القبور بالجزائر خلال العهد العثماني ومقارنتها بما يماثلها في العالم الإسلامي.

كلمات مفتاحية:

أضرحة، القبر، القبة، العمارة.

• المركز الجامعي تيبازة-الجزائر aelkad@yahoo.com

المنارة للاستشارات
www.

أولا/ تمهيد:

أ-المفاهيم اللغوية والإصطلاحية للأضرحة:

عرفت عمارة الأضرحة في الإسلام بعدة تسميات ومصطلحات لغوية إلا أن مدلولها واحد، منها ما اشتهرت في مناطق محدودة، ومنها ما انتشر ذكرها في أنحاء عديدة، ولعل من أهم تلك التسميات نذكر الضريح والمشهد والمقام والمزار والتربة والقبة:

و**الضريح** مأخوذ لغويا من: ضرح الشيئ (بفتحتين): قطعه وشقه، وضرح الرجل: دفعه ونحاه، وضرح القبر: حفره، وضرح الثوب: ألقاه، وضريح الشيئ (بفتح الضاد وفتحها وسكون الراء)-جمع اضراح-: التباعد والوحشة، والمضطرح (بضم الميم وسكون الضاد): المرمى في ناحية، والضريح يقصد به أيضا: شق في وسط القبر وقيل القبر كله، وقيل هو قبر بلا لحد، ويسمى ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا أو لأنه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه[١].

أما بالنسبة **للمشهد**، فهو من الناحية اللغوية مشتق من مشهد، وشهد المكان: حضره، ومنه شهد الجمعة: إذا أدركها، والشهادة: الإخبار بصحة الشيئ عن مشاهدة عيان، والشهيد بمعنى المستشهد: المقتول فقيل لأنه مشهود له بالجنة أو لأنه عند الله حاضر، وللشهادة أيضا معنى آخر يقصد به الحلف والقسم، وحسب ابن منظور (٧١١هـ/١٣١١م) المشهد: المجمع من الناس، ومحضر الناس، ومشاهد مكة: المواطن التي يجتمعون بها، كما وردت الكلمة في القرآن الكريم بمعنى يوم القيامة[٢]، في قوله تعالى: {وَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[٣].

---

[١]- ابن منظور (جمال الدين)، لسان العرب، تحقيق وتعليق عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٦/٢٠٠٥، ج٢، ص٣٠٤. أنظر أيضا: رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠، ص١٧٤. طه (الولي)، المساجد في الإسلام، دار اللم للملايين، ط١، ١٤٠٩/١٩٨٨، ص١٢٦. الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، القباب في العمارة المصرية الإسلامية: القبة المدفن نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٣/١٩٩٣، ص١٧-١٨.

[٢]- ابن منظور (جمال الدين)، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٣١. أنظر أيضا: عثمان (محمد عبدالستار)، عمارة المشاهد والقباب في العصر الفاطمي، دار القاهرة، ٢٠٠٦، ج٢، ص١٧-١٨.

[٣]- سورة مريم، الآية ٣٧.

المنارة للاستشارات
www.

وقد شاع هذا المصطلح عند الفاطميين أكثر من غيرهم، فقد دأبوا على بناء مشاهد على قبور المدفونين من آل البيت بقصد تمييزهم عن غيرهم من الموتى، وإحياء لذكراهم وتيسير زيارتهم[٤].

المقام: اسم لموضع القيام، اخذ من قام يقوم قياما، وقد ورد في التنزيل بمعنى موضع القيام في قوله تعالى: {فيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ}[٥]، يريد موضع قدميه في الصخرة التي كان يقوم عليها لبناء البيت، ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أعم من موضع القيام من محلة الرجل أو مدينته ونحو ذلك، ومن ثم قال الزمخشري في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}[٦]، انه استعمال خاص استعمل في معنى العموم، يعني انه يستعمل في موضع الإقامة في الجملة...وبعضهم رد كلمة المقام إلى أصل يوناني هو "Mokamo" ومعناه بالعربية قبر.

وقد شاع عند الناس المصطلح بقصد الموضع الذي يوجد فيه ضريح لمن يشتهر بالتقوى والصلاح، استنادا إلى القرآن الكريم بان مثل هؤلاء الرجال الأبرار يرقدون في مقام كريم في هذه الدنيا وفي الآخرة، وكثيرا ما يحرص الناس على الصلاة في داخل المقام التماسا للبركة واليمن من صاحب المقام[٧].

المزار: يقصد به ذلك المكان الذي فيه قبر لنبي أو شيخ أو عالم له مكانة عند الناس لعلمه وتقواه وورعه، وقد لا يكون في المزار قبر وإنما يرمز المكان إلى واقعة أو حدث له معاني روحية كبيرة في قلوب الناس مرتبطة بالشخصيات الدينية، ومن ثم يبنى في المكان مزار يرتاده الناس للزيارة والصلاة وطلب البركة من صاحب الضريح[٨].

التربة: من ترب الميت أي صار ترابا، ويقصد بها المقبرة، وقد تطور مفهومها في العصر المملوكي لتصبح تطلق على المنشأة الدينية بصفة عامة والخانقاه بصفة خاصة التي عادة ما تلحق بها مقبرة أو قبة دفن[٩].

القبة: قب الشيء وقببه: أي جمع أطرافه، والجمع قباب وقبب، وبيت مقبب: جعل فوقه قبة[١٠]، والقبة بناء مستدير ومقوس مجوف يعقد بالآجر ونحوه، وهي أيضا عبارة عن بناء محدودب أشبه بكرة مشطورة من وسطها، أو بناء دائري مقعر من

---

٤)- عثمان (محمد عبدالستار)، المرجع السابق، ج٢، ص٢١-٢٢.
٥)- سورة آل عمران، الآية ٩٧.
٦)- سورة الدخان، الآية ٥١.
٧)- الولي (طه)، المرجع السابق، ص١٠٧-١٠٨.
٨)- نفسه، ص١٠٩.
٩)- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، المرجع السابق، ص١٤.
١٠)- ابن منظور (جمال الدين)، المصدر السابق، ج١، ص٦٠٥.

المنارة للاستشارات
www.

الداخل مقبب من الخارج، يتألف من دوران قوس على محور عمودي ليصبح نصف كرة تقريبا، يأخذ مقطعها شكل قوس على محور عمودين ليصبح نصف كرة تقريبا، وتقام مباشرة على فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية أو على حنايا ركنية أو مثلثات ركنية أو مقرنصات لتسهل الانتقال من المربع إلى المثمن ثم إلى الدائرة، وقد تكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف كروية أو بصلية أو مخروطية أو مضلعة، وقد استخدمت القبة في عمائر مختلفة وعلى مر العصور، ولكن تواجدها بكثرة في الأضرحة الإسلامية جعلها تعمم لتصبح تطلق على البناية بأكملها[١١].

ب-نشأة الأضرحة في الإسلام:

عرف الإنسان البناء فوق قبور الموتى منذ القدم، والآثار الباقية تشهد على ذلك في مناطق عدة، في حضارات فجر التاريخ، وحضارة بلاد الرافدين وفي الحضارة الفرعونية، وغيرها، إلا انه كان لكل حضارة تقاليدها الخاصة بها وطرازها المعماري المميز.

ومن تقاليد العرب خلال تلك الفترة أنهم كانوا يضربون الخيم على قبور موتاهم، ويتلقون التعازي فيها، ثم يقيموا فيها مدة غير محددة اعتقادا منهم بان الموتى يأنسون بوجودهم إلى قربهم، ولما جاء الإسلام استمر هذا التقليد، ولعل أول خيمة أقيمت في الإسلام كانت على قبر أم المؤمنين زينب بنت جحش بعد وفاتها في سنة٢٠هـ/٦٤١م بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي سنة ٥٣هـ/٦٧٣م قامت عائشة أم المؤمنين بعد وفاة أخيها عبد الرحمن بن ابي بكر بضرب خيمة على قبره، وفي سنة ٩٧هـ/٧١٥م توفي الحسن بن حسن بن علي بن ابي طالب، وضربت زوجته على قبره خيمة وأقامت فيها مدة سنة كاملة[١٢].

لكن هذا التقليد كان من الصحابة من ينكره، حيث يروى أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما رأى فسطاطا(خيمة) على قبر عبدالرحمن فقال: "أنزعه يا غلام فإنما يظله عمله"، كما يروى أن ابا هريرة أوصى بعدم ضرب الفسطاط على قبره، ومن ثم كره الإمام أحمد ضرب الفسطاط والخيمة على القبور[١٣].

---

[١١]- غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، مطبعة جروس برس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص٣٠٩، انظر أيضا: رزق (عاصم محمد)، المرجع السابق، ص٢٢٢.

[١٢])- سيف (علي سعيد)، الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي وحتى نهاية القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي دراسة أثرية معمارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨، ص٢٤-٢٥.

[١٣])- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، المرجع السابق، ص٣٤-٣٥.

المنارة للاستشارات
www.

ولما مات الرسول صلى الله عليه وسلم اختلف الصحابة في موضع دفنه، فمنهم من يقول يدفن مع صحابته بالبقيع، ومن يقول بدفنه في مسجده، والبعض الآخر قال يدفن عند المنبر، ولما علم ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال لهم: سمعت رسول الله يقول: {ما مات نبي إلا دفن حيث يقبض}، ومن ثم رفع الفراش الذي توفى عليه النبي ودفن في نفس الموضع داخل بيت عائشة ام المؤمنين، ثم دفن إلى جانبه ابو بكر الصديق، وبنى بعد ذلك الخليفة عمر بن الخطاب جدارا قصيرا في وسط البيت، ودفن إلى جانبهما بعد وفاته، ثم أتم عبد الله بن الزبير الجدار وزاد فيه[١٤].

وعلى الرغم من التجديدات والإضافات التي عرفها المسجد النبوي الشريف في عهد عمر بن الخطاب(١٧هـ/٦٣٨م) وفي عهد عثمان بن عفان(٢٩هـ/٦٤٩م) إلا انه لم يتعرض لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدخل إلى حيز المسجد إلا في عهد عمر بن عبدالعزيز وهو والي على المدينة في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، وكان جدار الجامع الموالي لبيوت النبي قد أنهدم فاضطر إلى تجديده وتوسيع الجامع من هذه الجهة(٨٨-٩١هـ/٧٠٧-٧١٠م)، وجمع عمر بن عبد العزيز شيوخ المدينة وفقهائها واستشارهم في إدخال قبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى داخل المسجد فلم ينكروا عليه ذلك، ومن ثم صار القبر بداخل المسجد وأحاط عليه حيطانا مرتفعة مستديرة حوله حتى لا يظهر للناس فيفتتنوا به ويقعوا في ما كان النبي حذر منه، حيث تروي عائشة ام المؤمنين أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مرضه قال لها: {لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا من قبور أنبيائهم مسجدا، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجدا}[١٥].

وفضلا عن هذا الحديث فهناك أحاديث أخرى كثيرة تصب كلها في منع البناء على القبور، من بينها ما رواه مسلم عن جابر قال: {نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه}، وروى مسلم أيضا عن ابي الهياج الأسدي قال: {قال لي علي بن ابي طالب ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته}[١٦].

وكما كره الإسلام البناء على الأضرحة كره أيضا إقامة المزارات واتخاذها أماكن للصلاة، حيث يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في سفر فرأى قوما ينتابون مكانا للصلاة فقال: {ما هذا؟ فقالوا: هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى

---

١٤)- نفسه، ص٣٠. انظر أيضا: سيف (علي سعيد)، المرجع السابق، ص٢٣.
١٥)- سيف (علي سعيد)، المرجع السابق، ص٣١-٣٢.
١٦)- نفسه، ص٣١-٣٢.

المنارة للاستشارات
www.

الله عليه وسلم فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض}، وبلغ عنه أيضا انه سمع بقوم يذهبون إلى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها[١٧].

وعلى الرغم من تأكيد هذه الأحاديث وغيرها منع الإسلام للبناء فوق القبور إلا أن هذا لم يمنع من وجود مثل هذه العمائر على مر التاريخ الإسلامي، لكن ظهورها لم يكن –على الأرجح– إلا خلال العصر العباسي، حيث لم يعرف مثل هذه الأبنية طيلة فترة الخلافة الراشدة وحتى على عهد الأمويين، ولعل أقدم ضريح ورد ذكره في المصادر التاريخية هو قبة البرمكية بمدينة "عانة" في دير مارسرجس بالعراق، التي بناها هارون الرشيد في سنة ١٨٧هـ/٨١٢م على قبر أم الفضل بن يحيى البرمكية وقد كانت أمه من الرضاعة وكان يحبها فبنى لها قبة إكراما لها، وبقيت آثار هذه القبة إلى غاية سنة ١٩١١ ثم اندثرت[١٨].

وتعد القبة الصليبية في سامراء والتي يعتقد أنها مدفن الخليفة العباسي المنتصر المتوفي في سنة ٢٤٦هـ/٨٢١-٨٢٢م، ودفن فيها بعد ذلك الخليفة المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) ثم المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) أقدم ضريح لا تزال آثاره باقية إلى اليوم، تليها قبة اسماعيل الساماني في بخارى (٢٩٥هـ/٩٠٧م)[١٩]، وفي الشام أقدم قبة هي قبة حلب (٣٣٦هـ/٩٧٦م)، ثم قبة دمشق (٤٧٥هـ/١٠٨٢م)، وقد كان ظهور الأضرحة بسوريا مع دخول السلاجقة خلال القرن ٥هـ/١١م[٢٠].

وفي مصر ترجع أقدم الأضرحة المتبقية إلى القرن ٣هـ/٩م بمقبرة اسوان، ثم استمرت في العهد الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) مثلما هو الحال في مشهد الجيوشي ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ومشهد السيدة رقية ٥٢٧هـ/١١٣٢م وتواصل

---

[١٧])- الولي (طه)، المرجع السابق، ص١٠٩.

[١٨])- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، المرجع السابق، ص٢٤-٣٥. انظر أيضا: سيف (علي سعيد)، المرجع السابق، ص٢٣-٢٥.

[١٩])- عفيفي (محمد ناصر محمد)، القباب الجنائزية الباقية بصعيد مصر في العصر الاسلامي دراسة آثارية معمارية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الاسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٣/٢٠٠٢، ص ٤٣٢. انظر أيضا: كمال الدين (سامح)، «تطور القبة في العمارة الإسلامية»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك فؤاد، ١٩٥٠، ص ٧.

[٢٠])- الشهابي (قتيبة)، مشيدات دمشق ذوات الأضرحة وعناصرها الجمالية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٤. انظر أيضا: معاذ (خالد)، «مدافن الملوك والسلاطين في دمشق»، مجلة الحوليات الأثرية السورية، ١٩٥١، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص٢٤٠. الحديثي (عطا) عبد الخالق (هناء)، القباب المخروطية في العراق، مديرية الآثار العامة، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٢.

المنارة للاستشارات
www.

بعد ذلك في العهد الأيوبي والمملوكي مثل مدفن الصالح نجم الدين ايوب (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وقبة أحمد المهمندار (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، وقبة برسباي (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) [٢١].

أما بلاد المغرب فانه من الصعب تحديد تاريخ ظهور الأضرحة المغطاة بقبة، ولعل أقدم الأضرحة المعروفة قبة سيدي بوخريسان (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) [٢٢]، ثم تليها قبة البرودبين المرابطية المشيدة فيما بين (٥١٤-٥٢٥هـ/١١٢٠-١١٣٠م)[٢٣]، يليها ضريح المهدي بن تومرت، الذي ذكرت النصوص التاريخية بأنه من بناء عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨/١١٣٠-١١٦٣)[٢٤]، وتواصل بعد ذلك بناء الأضرحة حيث يرجع إلى الخليفة الموحدي محمد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) بناء ضريح سيدي أبي مدين بتلمسان قبل أن يرممه يغمراسن بن زيان (٦٣٣-٦٨١هـ/١٢٣٦-١٢٨٣م) وبعد ذلك السلطان المريني ابو الحسن (٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م)، والى هذه الفترة ترجع العديد من الأضرحة منها ضريح السلطان بتلمسان والذي يرجع تاريخه إلى بداية القرن ٧هـ/١٣م، وضريح سيدي ابراهيم (٧٦٥هـ/١٣٦٣م) بتلمسان أيضا، وفي المغرب الأقصى نجد أمثلة ترجع إلى العهد المريني مثلما هو الحال في الأضرحة الأربعة التي تقع بشلة بالقرب من مدينة الرباط والتي دفن فيها كل من السلطان أبو يعقوب، والسلطان أبو ثابت، والسلطان أبو سعيد، والسلطان أبو الحسن وهي

---

[٢١])- ابو رحاب (محمد السيد محمد)، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة آثارية معمارية، دار القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٤٨٢.

[٢٢])- الإسم الحقيقي لهذه القبة هو بنو خراسان نسبة إلى عبد الحق بن خراسان الهلالي الذي حكم مدينة تونس بداية من سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ويرجع بناء القبة إلى ولديه اسماعيل وعبد العزيز بعد ان خلفاه في الحكم وقد دفنا فيها. أنظر: زبيس (سليمان مصطفى)، «القبة التونسية»، عن كتاب: المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية، بغداد، ١٨-٢٨ نوفمبر(تشرين الثاني) ١٩٥٧، القاهرة ١٩٥٨، ص ١٧٠-١٧١. أنظر أيضا: لعرج (عبد العزيز)، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، ١٩٩٩، ج١، ص٣٦١.
MARÇAIS.G, l'Architecture Musulmane d'Occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne, Sicile, , Paris, P75-76.

[٢٣])- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠. انظر أيضا: فادية عطية مصطفى (عطية)، عمائر القاهرة الجنائزية خلال القرن ١٣هـ/١٩م دراسة أثرية معمارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار الإسلامية كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٤٢٤/٢٠٠٣، ص ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٤١.

[٢٤])- الكحلاوي (محمد محمد)، العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي عمائر الموحدين الدينية في المغرب دراسة أثرية معمارية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، ١٤٠٦/١٩٨٦، ص ١٣١-١٣٢.

المنارة للاستشارات
www.

مؤرخة فيما بين (٧٦٣ ٨٠٥هـ/١٣٦١-١٣٩٨م) [٢٥]، وأضرحة السلاطين السعديين بفاس[٢٦].

وخلال العهد العثماني تواصل بناء الأضرحة بالجزائر وقد أبدى الباشاوات والبايات وغيرهم من القادة الأتراك اهتماما ورعاية بالغة ببناء الأضرحة خاصة تلك المرتبطة بالأولياء الصالحين، فقد اهتم كل من الحاج أحمد داي (١١٠٦-١١٠٩هـ/١٦٩٥-١٦٩٨م) و عبدي باشا (١١٣٦-١١٤٥هـ/١٧٢٤-١٧٣٢م) ببناء وتشييد ضريح سيدي عبد الرحمن الذي شهد عدة تجديدات وتوسيعات بداية من وفاة صاحبه (الشيخ عبد الرحمن الثعالبي) في سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م والى غاية سنة ١١٤٢هـ/١٧٣٠م[٢٧]، وفي مستغانم بنى الباي مصطفى بوشلاغم (١٠٩٨-١١٤٦هـ/١٦٨٦-١٧٣٤م) في سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م قبة وحبسها على نفسه وعلى عقبه[٢٨]، كما بنى الحاج عثمان باي (١١٦٠-١١٧٠هـ/١٧٤٧-١٦٥٧م) بمعسكر قبة سيدي عبدالقادر الجيلاني في سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م، وهي المعروفة بقبة الباي ابراهيم الذي دفن فيها بعد ذلك في سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م[٢٩]، وبنى الباي محمد الكبير (١١٩٢-١٢١٣هـ/١٧٧٨-١٧٩٩م) قبة سيدي احمد بن يوسف بمليانة، ومشهد السيد محمد بن عودة دفين فليتة بغليزان[٣٠]، وبنى حسن باي (١٢٣٢-١٢٤٦هـ/١٨١٧-١٨٣١م) قبة لضريح سيدي علي ابي الوفا في

---

[٢٥]- بورويبة (رشيد)، «الطراز الموحدي ومشتقاته: الحفصي، المريني، الزياني والنصري»، عن كتاب: الفن العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٥، ج٢، ص ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١. انظر أيضا: شاوش (الحاج محمد بن رمضان)، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص٢٥٢، ٢٥٣، ٢٨٥-٢٨٨. BOURUIBA.R, l'Art Religieux Musulmane en Algérie, S.N.E.D, Alger, 1983, P192-195, 279-281, 173,251. MARÇAIS.G, op-cit, P301.

[٢٦]- بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص٢٤٠، ٢٤١.

[٢٧]- بن بلة (خيرة)، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٩٩-١٠٢.

[٢٨]- ابن عودة (المزاري)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط١، البصائر، الجزائر، ٢٠٠٧، ج١، ص ٢٧٥.

[٢٩]- الزياني (محمد بن يوسف)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم_ وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩، ص١٩٧. أنظر أيضا: إبن عودة (المزاري)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ط١، البصائر، الجزائر، ٢٠٠٧، ج١، ص ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦.

[٣٠]- ابن سحنون (احمد الراشدي)، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د.ت، ص١٣٢.

المنارة للاستشارات
www.

عام١٢٤٣هـ/١٨٢٨م[٣١]، وإلى جانب اهتمام البايات والحكام حظيت الأضرحة باهتمام المشايخ وعامة الناس، لنجد امثلة عديدة تتوزع على مناطق مختلفة من أنحاء الجزائر شرقا وغربا شمالا وجنوبا إلى درجة أنه من غير الامكان الالمام بها أحصاء ودراسة، غير أننا نحاول تقديم بعض النماذج المتميزة للاستدلال على مختلف الأنماط التخطيطية للأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني.

ثانيا/ الدراسة الوصفية لنماذج من الأضرحة:

١/ ضريح سيدي ابراهيم بن التومي:

يقع هذا الضريح بوسط مدينة عنابة بالقرب من محطة الحافلا ت، عند تقاطع الطريق الوطني رقم ٤٤ بشارع بوعلي سعيد وشارع جيش التحرير الوطني، وهو يعرف اليوم باسم مسجد سيدي ابراهيم بن التومي، بعد أن صارت تقام فيه الصلاة.

ينسب هذا الضريح للشيخ القطب المجاهد سيدي ابراهيم ابن التومي المرداسي الهلالي، المتوفى في ليلة الاثنين التاسع من رمضان عام ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م، وقد كان بناء هذا الضريح على قبره من طرف علي باي التونسي في سنة ١١٢٢هـ/١٧٦٩م، على حسب ما يظهر في نص نقيشة حديثة تعرف بصاحب الضريح مثبتة على مدخله.

تعرض هذه الضريح الى اضافات جديدة، حيث بنيت قبة بجوار القبة الأصلية وفيها تم إعادة دفن رفاة صاحب الضريح بعد أن تحول المعلم الى مسجد، فضلا عن اضافة سدة، وقاعة الوضوء.

يتشكل الضريح في أصله من بناء دائري تعلوه قبة(أنظر الصورة رقم١)، يتم الدخول اليه عبر باب عرضه ١،٢٦م وارتفاعه ١،٩٠م يقع في الجهة الشمالية الشرقية، وفي الجهة الشمالية الشرقية يوجد محراب عمقه ٠،٥م وعرض حنيته ٠،٨٨م وارتفاعها ١،٧٠م، وعلى ارتفاع ٠،٩٥م من جدران الضريح توجد ٢٧ خزانة جدارية عمقها ٠،٣٠م ارتفاعها ٠،٧٥م، عرضها ٠،٤٠م، منها ما تأخذ شكلا معقودا ومنها ذات الشكل المستطيل.

في الجهة المقابلة للمحراب يوجد درج صاعد يوصل الى سقيفة هي الأخرى دائرية كانت في الأصل مشيدة بالخشب وحديثا تم اعادة بنائها بالاسمنت المسلح، وهي الأخرى تستغل في الصلاة، وفي الجهة القبلية منها فتح باب (٠،٧٠×١،٩٠م) معقود يفضي الى ممر نازل يؤدي الى خارج الضريح.

القبة دائرية الشكل توجد بها ١٧ كوة ارتفاعها ٠،٥٠م وعمقها ٠،٢٠م وعرضها ٠،٢٣م، واسعة من الداخل ضيقة من الخارج، كما تتخللها ثلاث نوافذ مستحدثة.

٢/ مقبرة وضريح سيدي المبارك:

[٣١])- المزاري (ابن عودة)، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٣.

المنارة للاستشارات
www.

تقع هذه المقبرة بجوار مسجد ومدرسة سيدي مبارك بخنقة سيدي ناجي، وهي تضم ٢٦ قبرا، تتشكل من قاعة كبرى رئيسية غير منتظمة الأضلع(أنظر المخطط رقم١، والصورة رقم ٢)، تتراوح مقاساتها بين ٧،٤٥م و١٠م، تتوسطها اربع دعامات تعلوها قبة كروية ذات رقبة في اركانها حنايا ركنية، وفي منتصف اضلاعها فتحات مستطيلة، ومن الخارج تأخذ هذه الرقبة شكلا مربعا، أما باقي المساحات فهي مغطاة بسقف مسطح مشكل من جريد النخيل والخشب والملاط، في حين استعملت مواد مختلفة في بناء الجدران، كالآجر والحجر والطوب.

وفي خلف هذه القاعة الى الناحية الجنوبية توجد قاعة أخرى مستطيلة الشكل يتراوح عرضها بين ١،١٠ الى ٣،١٧م، وطولها بين ٦،٣٠ و٦،٧٦م، وهي الأخرى تحتوي على قبور، تراكيب هذه القبور بسيطة، فيما عدا مجموعة قليلة منها التي كسيت بألواح رخامية مزخرفة شبيهة بزخارف وتراكيب وشواهد قبور مقبرة صالح باي بالمدرسة الكتانية بقسنطينة، خاصة من حيث وجود شواهد تنتهي بعمائم، وهو الشكل الذي دخل الى الجزائر مع دخول العثمانيين.

وبالقرب من هذه المقبرة إلى الناحية القبلية خلف جدار القبلة لبيت الصلاة، وخلف الصحن يوجد ضريح الشيخ سيدي المبارك(أنظر المخطط رقم٢، والصورة رقم ٣)، وهو مربع الشكل تقريبا مقاساته (٣،٦٠×٤،٤٥م)، يتم الدخول اليه عبر باب ينفتح على صحن المسجد، وقد فتحت فيه خزانة جدارية في الجدار الجنوبي الشرقي، ويتوسط أرضية هذا الضريح قبر الشيخ سيدي المبارك، يعلوه تابوت خشبي مزخرف، تكسوه أقمشة.

وتعلو الضريح قبة نصف كروية ترتكز في الأركان على حنايا ركنية، وفي مظهرها الخارجي تبدو القبة مشكلة من رقبة مثمنة فتحت في أربع واجهات منها نوافذ صغيرة، وفوق هذه الرقبة تقوم خوذة القبة بشكلها النصف كروي

٣/ ضريح سيدي السعد بن ابي بكر:

يقع الضريح بمدينة سوق اهراس، وهو ينسب الى الشيخ سيدي السعد بن أبي بكر على حسب اللوحة الرخامية المنقوش عليها نص تعريفي بالضريح وصاحبه والمثبتة فوق باب الضريح، إلا أنني وبكل أسف لم أتمكن من قراءة تاريخ بناء المعلم.

شكل هذا الضريح دائري(أنظر المخطط رقم٣ الصورة رقم ٤)، قطره يصل الى حوالي ٧،٥م، تعلوه قبة كروية الشكل يتوجها جامور معدني، له باب ارتفاعه ٢،٣٠م وعرضه ١م، وهو يفضي الى داخل الضريح الذي يحتل أحد جوانبه قبر يغطيه تابوت أسدلت عليه ستائر من القماش، وفي الجدران الداخلية للضريح فتحت

المنارة للاستشارات
www.

١٠ خزائن جدارية على شكل محاريب، والضريح هذا مشابه تماما لضريح سيدي ابراهيم بن التومي بعنابة شكلا وزخرفة.

٤- ضريح سيدي محمد الغراب:

يقع هذا الضريح بوسط مرافق زاوية سيدي محمد الغراب، التي توجد بوسط قرية صالح باي المعروفة عند العامة باسم الغراب، على بعد ٦كلم عن مدينة قسنطينة، وهو ينسب إلى الشيخ سيدي محمد الغراب، وقد سبق وأن ذكرنا بأن هذه الشخصية لا يزال يكتنفها الغموض، كما أن تاريخ بناء هذا الضريح قد يكون منذ عهد صالح باي[٣٢].

يتم الدخول الى الضريح عبر باب عرضه ١،٢٢، وارتفاعه ١،٩٨م، يعلوه ساكف خشبي مغطى بالقرميد، وهو مربع الشكل (م٦،٦٦×٦،٦٦م)، فتحت في كل جهة منه نافذة صغيرة، تعلوها عقود صماء، ترتكز عليها حنايا ركنية تتحول فيه القاعدة من الشكل المربع الى المثمن، تعلوها خوذة القبة بشكلها النصف كروي، ومن الخارج تبدو القبة ذات رقبة مربعة غطيت بسقف مائل بالقرميد، وفي مركزها تنطلق خوذة القبة بشكل مضلع، يتوجها جامور يحاكي شواهد القبور المعممة.

وفي أرضية هذا الضريح يوجد قبر صاحب الزاوية الشيخ سيدي محمد الغراب، وإلى جانبه دفن ١٢ فردا من أفراد عائلة ابن جلول، كل هذه القبور ترجع الى فترة أحدث من العهد العثماني بداية من أواخر القرن ١٩/١٣م إلى القرن ١٤هـ/٢٠م، فيما عدا ضريح سيدي محمد الغراب.

والضريح هذا لا يزال محل اهتمام الكثير من الزوار، حيث يزورونه في أيام ومناسبات عدة للتبرك وطلب قضاء الحاجات وتقديم الذبائح، وإشعال الشموع.

٥/ ضريح ثلاث سيود:

يعود هذا الضريح إلى ثلاثة أولياء صالحين يقع في الجهة الجنوبية لمدينة ميلة القديمة، في الجهة الشمالية لمسجد سيدي غانم، وهو يشغل مساحة مستطيلة الشكل تقريبا، يقع المدخل الرئيسي له في الجهة الجنوبية من الواجهة الغربية تقريبا، يتكون المبنى من قاعـــــة الصـــلاة تأخذ شكلا مستطيلا، يتوسط جدارها الشرقي محراب يعلوه قوس نصف دائري، وعلى جانبيه توجد نافدتان تعلوان عن الأرضية، وغرفـــة الضريـــــح التي تقع في الجهة الغربية للمبنى، وهي عبارة عن مساحة مربعة يتم الولوج إليها عبر فتحة الباب، فتحت في جداريها الشمالي والجنوبي نافذتان، تشتمل الغرفة على ثلاثة توابيت خشبية مغطاة بستائر خضراء و حمراء اللون، خالية من الزخرفة تعلوها شواهد القبور، تعلو هذه الغرفة قبة ترتفع

[٣٢])- قشي(فاطمة الزهراء)، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بليس، قسنطينة، ٢٠٠٥، ص١٣١.

المنارة للاستشارات
www.

عن الأرضية(أنظر الصورة رقم ٥)، على شكل نصف كرة تتوسطها زخرفة نباتية، أرضية الغرف. بلطن ببلاطات زخرفية خضراء اللون مربعة، وهي مستحدثة بسبب الترميمات التي أدخلت على الضريح.

٦/ ضريح الزاوية الحسينية بسيدي خليفة:

يقع هذا الضريح بالزاوية الحسينية ببلدية سيدي خليفة ولاية ميلة، وهو ينسب إلى الشيخ سيدي الحسيني بن الصالح بن ابي محمد عبدالله، أصل عائلته من أشراف أحواز مراكش، ومنها انتقل جده الأدنى الى قسنطينة، وقد كان أول دخول الشيخ لمنطقة سيدي خليفة في سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، وبعد عامين أسس زاويته بها أي في سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م[٣٣].

يحتل الضريح الزاوية الشمالية الغربية من صحن الزاوية، وهو ذو مسقط مربع(أنظر المخطط رقم٤)، يتم الدخول اليه عبر باب في منتصف ضلعه القبلي، ينفتح على الصحن، وهو في شكل غرفة مربعة الشكل طولها ٤،٨٠م^{2}، تعلوها قبة نصف كروية، تقوم على حنايا ركنية، وفي منتصف ثلاث جدران الشمالي، والغربي والجنوبي توجد خزانات جدارية مقاساتها ٠،٩٠×١،٧٠م وعمقها ٠،٥٠م، ويتوسطها أرضية الضريح قبر مؤسس الزاوية، يعلوه تابوت خشبي كسي بالأقمشة.

٧/ القبة الضريحية بالجامع الأخضر:

تقع هذه القبة في الجهة الغربية خلف الجامع الأخضر، وهي تعد امتدادا معماريا له، ولا يفصلها عنه سوى فناء يتوسطهما.

كان بناء هذه القبة من طرف الباي حسن المدعو بوحنك (١١٤٩-١١٦٨هـ/١٧٣٦-١٧٥٤م)، مؤسس الجامع، وهو أول من دفن فيها بتاريخ ١١٦٨ه/١٧٥٤م[٣٤]، كما دفن فيها بعد ذلك ابنه الباي حسين بن حسن في

---

[٣٣])- بن الشيخ الحسين (عبدالعليم)، تاريخ الزاوية الحسينية، مطبوعة غير منشورة بالزاوية الحسينية، مارس، ٢٠٠٥، ص١٦،٩.

[٣٤])- للإطلاع أكثر على مؤسس هذا الضريح أنظر: ابن المبارك (الحاج احمد)، تاريخ حاضرة قسنطينة، صححه وعلق عليه نور الدين عبدالقادر، الجزائر، ١٩٥٢، ص١٩-٢٠. انظر أيضا: ابن العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، دار هومه، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٦٨-٧١.

المنارة للاستشارات
www.

١٢٠٩هـ/١٧٩٥م، ثم حفيده حسن المدعو حسونة في سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩ ١٨٠٠م [٣٥].

تؤرخ هذه القبة بنفس التاريخ الذي انشئ فيه الجامع، والمحدد بأواخر شهر شعبان ١١٥٦هـ/أكتوبر ١٧٤٣م حسب اللوحة التأسيسية للجامع[٣٦].

يتم الوصول إلى هذه القبة عبر مدخلي الجامع الأخضر المفتوحان بالطابق السفلي، وبعد اجتياز ممر يقع خلف السقيفة التي بين المدخلين نصل مباشرة إلى الفناء، ومنه وعبر أربع درجات آجرية نصل إلى ممر صغير طوله ٢،١٧م وعرضه ١،٢٠م، وهو مستحدث، فتح في ضلعه الجنوبي باب كان في الأصل معقودا بعقد حدوي متجاوز، عرض فتحته حوالي ١،٥م، وهو ينفتح على قبة ذات مسقط مربع (أنظر المخطط رقم ٥)، طول ضلعيها الشمالي والجنوبي ٤،٦٨م والغربي ٤،٤٠م والشرقي ٤،٤٥م، يحيط بها جداران من الناحية الغربية والجنوبية، بينما فتح الجدار الشرقي كلية على الفناء الذي يتقدمه، أما الجدار الشمالي فكما سبق وان قلنا فتح فيه باب.

تقوم القبة في الأركان فوق أربعة أعمدة رخامية اسطوانية الشكل، تيجانها على شكل حلقتين دائريتين يعلوهما شكل مربع متدرج، وفوقهما ترتفع عقود نصف دائرية تبرز عن الجدار بمقدار ٢٠سم في الأركان، ويتوسط الضلع الشرقي عمود اسطواني مماثل للأعمدة السابقة، ينطلق منه عقدان يتقاطعان مع العقد العلوي الكبير يشكلان بائكة من عقدين منكسرين.

وتستمر الجدران فوق الأقواس بمقدار حوالي ٥٠سم، ثم يتحول المربع إلى شكل مثمن بواسطة حنايا ركنية مثلثة بشكل أفقي مستوي من دون شك تكون مبنية بعوارض خشبية مغروزة في الجدران من الجانبين، غطيت بطبقة من الجص، وفوقها تقوم قبة دائرية خالية من الزخارف.

---

[٣٥]- للإطلاع أكثر على وصف القبور والضريح بصفة عامة، أنظر: دحدوح(عبدالقادر)، المعالم الأثرية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دار ذاكرة الأمة، الجزائر، ٢٠١٥، ج١، ص٢٠٤-٢١٠.

[٣٦]- للاطلاع على نص الكتابة انظر: بورويبة (رشيد)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩، ص١٥٩-١٦١. معزوز (عبد الحق) و درياس (لخضر)، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، الجزء الأول: كتابات الشرق الجزائري، منشورات المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة سومر-يئر خادم، الجزائر، ٢٠٠٠، ص١٦١-١٦٤. CHERBONNEAU.A, «Inscriptions arabes de la province de Constantine», in : Annuaire de la société archéologique de la province de Constantine, 1856-1857, PP.102-104.

المنارة للاستشارات
www.

وفي أسفل القبة في وسط الضريح توجد ثلاثة قبور(الصورة رقم ٦)، دفن فيها كل من حسن باي بن حسين، وابنه حسين باي بن حسن، وحفيده حسن بن حسين باي، وهي محفورة بشكل متوازي في وسط أرضية القبة.

٨/ القبة الضريحية بمدرسة سيدي الكتاني:

تقع القبة الضريحية خلف صحن المدرسة الكتانية التي تقع بجوار جامع سيدي الكتاني، بالجهة الغربية من المدينة أسفل القصبة، وبجوار سوق الجمعة الذي كان في زمن الاستعمار يعرف بساحة نيغرييه، ويعرف حاليا بسوق العصر، والمدرسة تنفتح من الناحية الشرقية على نهج بوهالي لعيد.

يرجع تأسيس هذه القبة إلى صالح باي (١١٨٥-١٢٠٧هـ/١٧٧١-١٧٩٢م) مؤسس مدرسة سيدي الكتاني [٣٧].

يرجع تاريخ بناء القبة الضريحية إلى نفس التاريخ الذي بنيت فيه المدرسة الكتانية والمحدد بسنة١١٨٩هـ/١٧٧٥م، وقد سجل هذا التاريخ في كتابة أثرية تأسيسية[٣٨].

تحتل القبة الضريحية الجزء الغربي من مدرسة سيدي الكتاني (انظر المخطط رقم ٦)، وهي ترتفع عن أرضية صحن المدرسة بـ١م، يتم الصعود إليها عبر ممر عرضه ١,٥م، به أربع درجات تقع عند نهاية الرواق الغربي من الصحن، وهي تتشكل معماريا من مساحة مربعة (٣,٩٠×٤,١٠م) مفتوحة من ثلاث جهات، في حين يوجد في الجهة الرابعة جدار مصمت، وفي أركانها دعائم مربعة، اثنتان منها مدمجتان في الجدار تبرزان عنه بـ٠،١٠م، وفوق هذه الدعائم تنطلق عقود نصف دائرية، وفي نفس المستوى الذي تنتهي فيه هذه العقود يبدأ المربع يتحول إلى مثمن بواسطة حنايا ركنية عبارة عن محارات مشعة، ثم ترتفع القبة فوق ذلك بتضليعاتها المحددة بأخاديد حفرت بها أشكال هندسية من المعينات والمثلثات باسلوب الحفر الغائر.

وعلى الجانب الشمالي والجنوبي للقبة يوجد رواقان غطيا بقبو نصف دائري، عرض الأول(الشمالي) في طرفه الغربي ١،٨٥م، وفي طرفه الشرقي ١،٥٥م، وعرض الثاني ١،٥م، كما يتقدم القبة رواق عرضي يمتد من الشمال إلى الجنوب، وينتهي عند بداية الدرج الصاعد، أرضيته منخفضة عن أرضية القبة والرواقين

---

[٣٧]- حول صالح باي انظر: ابن المبارك (الحاج احمد)، المصدر السابق، ص٢٦-٢٨. ابن العنتري (محمد الصالح)، المصدر السابق، ص٧٨-٨٤. شغيب (محمد المهدي بن علي)، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، ١٩٨٠، ص٣٧٦-٣٨٦.

[٣٨]- للاطلاع على نص الكتابة انظر: معزوز (عبد الحق) و درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص١٧٦-١٧٨. CHERBONNEAU.A, op-cit, PP.108-110.

المنارة للاستشارات
www.

السابقي الذكر بـــ٠،١٥م، وهو مغطى بأقبية برميلية مستحدثة في العهد الفرنسي، وتحف به من جهة الصحن درابزين رخامية.

وألحق بالقبة وإلى الجانب الجنوبي منها غرفة طولها ٤،٨٠م عرضها ٢،٣٥م، تمثل امتدادا لغرف وخلاوي الطلبة التي تنفتح على الرواق الجنوبي لصحن المدرسة، لها باب يطل على القبة عرضه ٠،٩٥م وارتفاعه ١،٩٠م.

زينت الجدران الثلاثة المحيطة بالمقبرة ببلاطات خزفية متنوعة تنتظم في شكل حشوات، اغلب تصاميمها كنا رأيناها في المعالم السابقة، منها بلاطات تغلب عليها أزهار القرنفل وأخرى على هيئة عفسة الأسد، ونوع ثالث رأيناه في محراب جامع سيدي الكتاني التي على هيئة سلال بها باقات من الأزهار والأوراق والثمار، وبلاطات أخرى ذات أشكال هندسية تغلب عليها أقواس السهام والقواقع البحرية ، فوقها شريط من الجص به كتابة[٣٩] بخط الثلث نقشت بالحفر البارز.

تضم المقبرة ١٦ قبرا(الصورة رقم ٧)، يأتي في مقدمتها قبر صالح باي صاحب الضريح، وأبنائه وأفراد من عائلته وغيرهم، منها ما يضم شاهد قبر ذكر فيه اسم المتوفي وتاريخ وفاته، ومنها ما يبقى بالنسبة لنا مجهولا لعدم وجود شاهد قبر يشير إلى صاحب القبر وتاريخ وفاته[٤٠].

ثالثا/ الدراسة التحليلية:

١/ أنماط الأضرحة من حيث موضع البناء:

أ/ الأضرحة المستقلة:

يغلب على الأضرحة المدروسة أنها جاءت ملحقة بأحد المباني الدينية كالمساجد والمدارس والزوايا على الخصوص، وقد يكون أصل البناء ضريحا تلحق به فيما بعد بناية أخرى قد تكون في شكل مسجد أو زاوية، كما هو الحال بالنسبة لضريح سيدي عبدالرحمن وضريح سيدي أمحمد بمدينة الجزائر، وقلما نجد الأضرحة مستقلة في النماذج المدروسة، ولعل من بين الأمثلة نذكر ضريح سيدي السعد بن ابي بكر بسوق أهراس، وضريح سيدي ابراهيم بن التومي بعنابة.

ب/ إلحاق الأضرحة بالمساجد:

شاعت ظاهرة إلحاق الأضرحة بالمساجد وغيرها من المنشآت الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني، ومن أمثلتها بمدينة قسنطينة القبة الضريحية الملحقة بالجامع

[٣٩])- معزوز (عبد الحق) و درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص٢٥١-٢٥٢.

[٤٠])- عن هذه القبور ووصف تراكيبها وشواهدها وكتاباتها أنظر: دحدوح(عبدالقادر)، المرجع السابق، ص٢١٣-٢٣٢.

المنارة للاستشارات
www.

الأخض(١١٥٧هـ/١٧٤٣م)، ومسجد حفصة ومسجد سيدي قموش، وبمدينة معسكر ألحقت بجامعها الكبير (١١٦٠هـ/١٧٤٧م) قبة دفن بها الباي ابراهيم، كما ألحق ضريح سيدي المبارك بالمسجد المعروف بنفس الاسم بخنقة سيدي ناجي[٤١].

وإذا كانت فكرة الحاق الأضرحة والمدافن بالمساجد في الجزائر ترجع الى فترات سابقة للعهد العثماني، مثلما هو الحال بالنسبة لضريح سيدي عقبة بن نافع(أنظر المخطط رقم ٧) الذي يقع داخل مسجد سيدي عقبة بعد التوسيعات التي تعرض لها المعلم عبر التاريخ، وإلى العهد الزياني (٦٣٣-٩٤٩هـ/١٢٣٦-١٥٤٣م) وجدت أضرحة ملحقة بالمساجد، مثلما كان الحال في القبة الملحقة بمسجد سيدي ابراهيم (٧٥٩هـ/١٣٥٨م) بتلمسان، ونفس الأمر بالنسبة لضريح سيدي ابي مدين الذي يقع إلى جواره مسجد سيدي بومدين وهو من بناء المرينيين في تلمسان[٤٢]، إلا ان الظاهرة انتشرت أكثر على غرار ما كان سائدا في تركيا، والتي نذكر من أمثلتها تربة السلطان محمد الفاتح الملحقة بجامعه في استانبول(٨٦٧-٨٧٥هـ/١٤٦٢-١٤٧٠م)، والضريح الملحق بجامع سليمان القانوني باستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م)[٤٣].

كما انتشرت نفس الظاهرة في تونس خلال العصر العثماني، ومن الأمثلة على ذلك التربة التي ألحقها يوسف داي (١٠١٩-١٠٤٧هـ/١٦١٠-١٦٣٧م) بمسجده في مدينة تونس، ونفس الأمر سار عليه حمودة باشا (١١٩٦-١٠٧٦هـ/١٦٣١-١٦٦٦م) و حسين بن علي (١١١٧-١١٥٣هـ/١٧٠٥-١٧٤٠م) فكل واحد منهما بنى مسجدا وألحق به مدفنا[٤٤].

وفي ليبيا بدأت هذه الظاهرة في وقت مبكر، فقد ألحق عمرو بن العاص بمسجد بناه في بلدة جنزور مدفنا دفنت فيه أم سالم بن مرغم وبعضا من ولده وضرب عليه بباب، واستمرت خلال العهد العثماني لنجد لها عدة أمثلة منها المدفن الملحق بجامع

---

[٤١])- ابن هطال (احمد التلمساني)، رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبدالكريم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٩. أنظر أيضا: ابن سحنون (احمد الراشدي)، المصدر السابق، ص١٢٧-١٢٨. المزاري (الآغا ابن عودة)، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٥. مهيرس (مبروك)، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ٤٢.

[٤٢])- بورويبة (رشيد)، الطراز الموحدي ومشتقاته، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٣٥.

[٤٣])- آصلان آبا (اوقطاي)، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة احمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، استانبول، ١٩٨٧، ص ١٩٨، ٢٠٠، ، ٢١٩، ١٨٦، ١٨٧. انظر ايضا: KUBAN.D, «L'architecture ottomane» in : L'Art en Turquie, Office du Livre, Imprimé en Suisse, 1981, P147, 148.

[٤٤])- SAADAOUI. A, Tunis Ville Ottomane Trois siècles d'urbanisme et d'architecture, Centre de Publication Universitaire, Tunis, 2001, P51, 91, 146.

المنارة للاستشارات
www.

درغوت باشا (٩٧٢هـ/١٥٦٥م)، ومدفن جامع سيدي سالم المشاط (١٠٨٠هـ/١٦٦٩م)، وبجامع احمد باشا القرمانلي (١١٥٠هـ/١٧٣٨م)[٤٥].

وبمصر توجد عدة أمثلة للأضرحة التي ألحقت بالمساجد وهي تعود الى فترات تاريخية مختلفة نجدها على الخصوص في العهد المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، واستمرت خلال العهد العثماني، كما هو الحال في قبة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٧-٦٤٨هـ/١٢٤٩-١٢٥٠م) وقبة بيبرس الجاشنكير، ومسجد سليمان باشا (٩٣٥هـ/١٥٢٨م)، والقبة الملحقة بجامع محمد قرا باشا بميدان صلاح الدين (١١١٣هـ/١٧٠١م)، وقبة الشيخ رمضان (١١٧٥هـ/١٧٦١م)، مسجد السادات الوفائية (١١٩١هـ/١٧٧٧م)[٤٦]، كما وجدت أمثلة مبكرة باليمن الحقت فيها المدافن بالمساجد مثلما هو الحال في الجامع الكبير بمدينة صعدة والذي يرجع بناؤه الى الإمام يحيى الهادي الى الحق (ت٢٩٨هـ/٩١٠م) [٤٧].

أما من حيث موضع قبة الضريح فقد اختلفت وتنوعت أماكن تواجدها بالنسبة للمنشآت الملحقة بها، فاحيانا تكون مرتبطة ببيت الصلاة، كأن تكون بداخله كما هو الحال بالنسبة لضريح سيدي عقبة بالمسجد المعروف بنفس الإسم ببسكرة، أو على احد جوانبه أو خارج جدار القبلة، وأحيانا تكون منفصلة عن بيت الصلاة كما هو الحال في الجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة، وضريح سيدي مبارك بخنقة سيدي ناجي ببسكرة، وهو التقليد الذي سارت عليه أغلب الأمثلة بالجزائر سواء خلال العهد الزياني (٦٣٣-٩٤٩هـ/١٢٣٦-١٥٤٣م) المريني (٦٦٩-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م) او خلال العصر العثماني(٩٢٠-١٢٤٥هـ / ١٥١٤ -١٨٣٠)[٤٨].

ونجد نفس التقليد في بعض المساجد بالمشرق الإسلامي، منها عدة نماذج تعود الى العهد المملوكي، منها قبة صرغتمش وقبة اولجاي اليوسفي وقبة جاني بك بالخيامية

---

[٤٥])- البهنسي (صلاح احمد)، العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول (٩٥٨-١١٢٣هـ/١٥٥١-١٧١١م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار من قسم الآثار الاسلامية، جامعة القاهرة، ١٤١٤/١٩٩٣-١٩٩٤، ص١٥٠، ١٥٦-١٥٧.

[٤٦])- البهنسي (صلاح احمد)، المرجع السابق، ص ١٥٧. انظر ايضا: عفيفي(محمد ناصر محمد)، المرجع السابق، ج١، ص ٤٣٥-٤٣٦.

[٤٧])- G.VENTRONE-VASSALLO, «Les Mausolées de la Ville de Sa'da» in : Cimetières et Traditions Funéraires dans le Monde Islamique, Actes du Colloque International du Centre National de la Recherche Scientifique Organisé par l'Université Mimar Sinan, Istanbul, 28-30 Septembre 1991, Publiés par la Société d'Histoire Turque, Ankara, 1996, P30-31.

[٤٨])- بورويبة(رشيد)، الطراز الموحدي ومشتقاته، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٣٥.

المنارة للاستشارات
www.

والقبة الملحقة بمدرسة الأمير قرا سنقر، والى العهد العثماني نذكر قبة البيومي الملحقة بجامعه (١١٨٠هـ/١٧٦٦م) [٤٩]، وفي ليبيا ضريح مراد آغا الملحق بجامعه في تاجوراء(٩٦٠هـ/١٥٥٣م) الذي يقع خلف الصحن أو الفناء منفصلا عن بيت الصلاة[٥٠].

ج/ إلحاق الأضرحة بالمدارس:

تحتفظ الجزائر بأربع مدارس أثرية لا تزال باقية، وهي تتمثل في كل من مدرسة سيدي الكتاني (١١٨٩هـ/١٧٧٥م) ومدرسة الجامع الأخضر (١١٩٣هـ/١٧٧٩م) بمدينة قسنطينة، ومدرسة خنق النطاح بمدينة وهران، والمدرسة الناصرية بخنقة سيدي ناجي، وفي ثلاثة من هذه المدارس ألحقت أضرحة، حيث جاءت قبة الضريح خلف صحن مدرسة سيدي الكتانية بقسنطينة، بينما دفن الباي محمد بن عثمان الكبير(١١٩٢-١٢١٣هـ/١٧٧٨-١٧٩٩م) داخل المدرسة التي أنشأها بخنق النطاح، في حين ألحقت مقبرة خلف مدرسة ومسجد سيدي مبارك بخنقة سيدي ناجي في شكل تجمع معماري ديني متكامل مسجد ومدرسة وأضرحة ومقبرة.

وقد كان هذا التقليد منتشرا في أقاليم مختلفة من العالم الاسلامي، حيث عرفت المدارس بتونس وليبيا خلال نفس الفترة العثمانية ظاهرة الحاق الأضرحة بالمدارس، ومن الأمثلة على ذلك بتونس التربة التي ألحقها الباي حسين بن علي بالمدرسة الحسينية الصغرى (١١٢٠-١١٢٢هـ/١٧٠٨-١٧١٠م)[٥١]، وفي ليبيا مدرسة عثمان باشا الساقزلي بطرابلس (١٠٦٤هـ/١٦٥٤م)[٥٢].

وقد كان هذا التقليد معروفا ببلاد المغرب قبل العصر العثماني وبالتحديد خلال العهد الحفصي (٦٢٥-٩٨١هـ/١٢٢٨-١٥٧٣م) بتونس، حيث يذكر أن الحاجب ابن تافركين دفن بمدرسته بتونس في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م[٥٣].

---

[٤٩])- عفيفي (محمد ناصر محمد)، المرجع السابق، ص ٤٣٧.

[٥٠])- البهنسي (صلاح احمد)، المرجع السابق، ص ١٥٠-١٥٥.

[٥١])- بن مامي (محمد الباجي)، المرجع السابق، ص٢٦١، ٢٦٣. أنظر أيضا: SAADAOUI. A, op-cit, P140-143.

[٥٢])- بن مامي (محمد الباجي)، المرجع السابق، ص ١٨٧. انظر أيضا: البهنسي (صلاح احمد)، المرجع السابق، ص ١٤٦-١٥٤-١٥٥. نجيب (مصطفى)، «مدرستان مستقلتان بطرابلس الغرب الساقزلي والكاتب، دراسة أثرية معمارية»، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد ١٠، ٢٠٠٤، ص١٤٧-١٥٥. GOLVIN.L, Architecture Musulmane La Madrasa Médiévale, EDISUD, Aix-en-Provence, P182.

[٥٣])- بن مامي (محمد الباجي)، المرجع السابق، ص ١٨٧. انظر أيضا: GOLVIN.L, Architecture Musulmane, op-cit, P182.

المنارة للاستشارات
www.

أما بلاد الأناضول فقد عرفت الحاق الأضرحة بالمدارس منذ العهد السلجوقي (٤٧٠ ٧٠٨هـ/١٠٧٧-١٣٠٨م)، حيث نجدها في كل من المدرسة التوأم (جفته مدرسة) التي يرجع بناؤها الى سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، ومدرسة قونية المعروفة باسم صرجالي مدرسة (١٢٤٢م) ومدرسة طاش في اقشهر (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)[٥٤].

المشرق الإسلامي هو الآخر عرف نفس الظاهرة في وقت مبكر على غرار الأناضول في العهد السلجوقي، ومن أولى أمثلتها في بلاد الشام مدرسة السلطان نور الدين بدمشق(٥٦٣هـ/١١٦٨م)، كما نجد في مصر أمثلة عديدة، منها المدرسة الصالحية (٦٤١-٦٤٨هـ/١٢٤٣-١٢٥٠م)[٥٥]، ونفس الأمر كان في اليمن، حيث كانت عدة مدارس تضم أضرحة مثل المدرسة الأشرفية الكبرى(٨٠٠هـ/١٣٩٧م)[٥٦].

د/ إلحاق الأضرحة بالزوايا:

تشترك الكثير من الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني في ظاهرة إلحاق الضريح بالزاوية، وهي الظاهرة التي نجد لها عدة أمثلة من بينها زاوية سيدي عبد المؤمن، وزاوية بن عبد الرحمن باش تارزي، وزاوية سدي محمد الغراب، والزاوية الحسينية بسيدي خليفة، ففي الأولى وجد الضريح خارج بيت الصلاة، وفي الثانية وجد ضريح المؤسس داخل بيت الصلاة يعزله سياج خشبي عن بقية أجزاء بيت الصلاة، إضافة الى ثلاثة قبور كانت تحتل الرواق الشرقي القبلي المحيط بالصحن، في حين بني الضريح في شكل بناء مستقل بزاوية الغراب بين مسكن وصحن مسجد الزاوية، ونفس الأمر بالنسبة لضريح الزاوية الحسينية حيث بني في ركن الصحن الذي يتوسط بين المسجد والمسكن.

وقد عرفت ظاهرة إلحاق الأضرحة بالزوايا في بلاد المغرب خلال العصر العثماني، ففي المغرب الأقصى كانت أغلب الزوايا بها اضرحة وفي كثير من الأحيان كانت الأضرحة هي النواة الأولى التي بنيت حولها الزوايا، ومن أمثلتها

---

[٥٤])- آصلان آبا (اوقطاي)، المرجع السابق، ص ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥ انظر ايضا: KURAN.A, «L'architecture seldjoukide en Anatolie» in : L'Art en Turquie, Office du Livre, Imprimé en Suisse, 1981, P96. KUBAN.D, op-cit, P147, 148.

[٥٥])- البهنسي (صلاح احمد)، المرجع السابق، ص ١٥٤،١٤٦-١٥٥. انظر أيضا: GOLVIN.L, op-cit, P52-53,105-108.

[٥٦])- النصر(محمد سيف)، «نظرة عامة إلى المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية»، مجلة الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول، ١٤٠٦/١٩٨٥، ص ١٠٦-١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.

الزاوية الجزولية بمراكش التي نشأت حول ضريح بناه السلطان السعدي أحمد الأعرج على رفاة والده محمد القائم والشيخ الجزولي[٥٧].

ونفس التقليد كان بأغلب زوايا تونس، حيث كان الضريح النواة الأساسية بزوايا المنستير، مثلما هو الحال في زاوية سيدي بو علي وزاوية سيدي مسعود وزاوية سيدي الحياص[٥٨]، ومن الزوايا التي الحق بها ضريح بليبيا الزاوية الأسمرية المنسوبة الى الشيخ عبد السلام الأسمر المتوفي في سنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م بزليتين، وزاوية يعقوب بطرابلس، والزاوية المدنية ببنغازي وغيرها[٥٩].

وقد عرفت مصر هذا الشكل من الزوايا منذ الفترات السابقة للعصر العثماني، حيث نجد لها أمثلة في القاهرة ترجع الى العصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) والمملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) ثم استمرت الى غاية العصر العثماني، ومن أمثلتها تكية البكتاشية التي بلغ عدد القبور بها اربعين قبرا، وتكية الشيخ سنان باشا، وزاوية حسن الرومي[٦٠]، ومن الزوايا ما جاء فيها الضريح داخل بيت الصلاة كما هو الحال بالنسبة لقبة تنكز بغا بمنشية ناصر بمصر وهي تقع داخل الإيوان الرئيسي للخانقاه متقدمة المحراب[٦١].

٢/ أنماط التخطيط المعماري للأضرحة:

أ/ الأضرحة ذات المسقط المربع تعلوه قبة:

وهو الطراز الذي يعد الأكثر تواجدا في شرق العالم الإسلامي وغربه، و أقدم الطرز في العمارة الجنائزية الإسلامية، وهو ذو تخطيط بسيط، يتكون من مساحة مربعة تعلوها قبة، وأحيانا يتقدم هذه الترب رواق -أو أكثر- خارجي (سقيفة)، وقد تبنى هذه الترب مستقلة أو ملحقة بغيرها من العمائر كالمساجد والمدارس والزوايا، بل والمنازل أيضا ولاسيما خلال العصر العثماني.

والأمثلة على ذلك عديدة في شرق العالم الإسلامي وغربه، واستمر هذا الطراز عبر مختلف الفترات التاريخية منذ الفترة العباسية الى غاية العهد العثماني، وان كان عند العثمانيين لم يستخدم على نطاق واسع ولم يكن شائعا والنماذج المتبقية منه

---

٥٧)- ابو رحاب(محمد السيد محمد)، المرجع السابق، ص ٤٨٢.

٥٨)- هلالي (عفاف)، المعالم الدينية بمدينة المنستير دراسة اثرية وتاريخية، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، اختصاص اثار اسلامية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، ١٩٩٩، ص ٤١-٤٢.

٥٩)- خضري (سمير عبد المنعم)، المرجع السابق، ص ٢٢٤.

٦٠)- منصور (هند علي حسين)، المرجع السابق، ص٢١٢.

٦١)- عفيفي (محمد ناصر محمد)، المرجع السابق، ص ٤٤٢.

المنارة للاستشارات
www.

قليلة، مثل قبة حاجي سلطان وقبة بايزيد الأول في بورسة وتربة السلطان احمد في استانبول(١٠٢٩هـ/١٦١٩م)[٦٢].

أما في شمال افريقيا فقد شاع هذا الطراز عبر مختلف الفترات، والأمثلة عليه عديدة، والغالب على مخططاته أنه مربع يعلوه غطاء يختلف من منطقة الى أخرى حسب اختلاف المناخ وإمكانيات صاحب الضريح ومكانته، فقد يكون مغطى بقبة أو قرميد أو من القصب والديس[٦٣]، ومن أمثلته على حسب النماذج المدروسة نذكر ضريح سيدي عقبة، وضريح سيدي عبدالرحمن بمدينة الجزائر، وضريح الزاوية الحسينية بسيدي خليفة، وضريح سيدي محمد الغراب بقسنطينة، وضريح سيدي مبارك بخنقة سيدي ناجي.

ب/ الأضرحة ذات المسقط الدائري تعلوه قبة:

نجد لهذا النمط مثالين فقط في الجزائر خلال العهد العثماني، وهما ضريح سيدي ابراهيم بن التومي بعنابة وضريح سيدي السعدي بسوق أهراس، وهما متشابهان إلى حد كبير، حيث يتشكل كل واحد منهما من مسقط دائري تعلوه قبة نصف كروية من غير حنايا ركنية، ولا ندري ان كان هذا النمط معروفا في بلدان أخرى من أنحاء العالم الاسلامي، حيث لم يتسن لي البحث بتتبع الأصول التخطيطية لهذه الظاهرة في الأضرحة، إلا ما يمكن القول هنا هو أن الأضرحة الدائرية كانت معروفة في بلاد المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث تظهر في قبور فجر التاريخ والتي تعرف باسم البازينات والشوشات وغيرها، كما استمرت خلال الفترات القديمة لتظهر في أمثلة عدة منها ضريح المدغاسن والضريح الملكي بتيبازة[٦٤]، ثم انقطع هذا التخطيط خلال العصر الوسيط ليعاود الظهور خلال الفترة العثمانية في هذين المثالين.

---

[٦٢])- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، جامعة الكويت، ٢٠٠٢، ص٢٣٣-٢٣٤. أنظر أيضا: آصلان آبا (اوقطاي)، المرجع السابق، ص ٢٢١.
MASLOW.M, les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc, Paris, MCMXXVII, P56.
ARIK.O, «L'architecture turque de la période des Emirats turcomans en Asie Mineure» in L'Art en Turquie, Office du Livre, Imprimé en Suisse, 1981, P137.

[٦٣])- عزوق (عبد الكريم)، «الأضرحة في بجاية دراسة نموذجية» ، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط (الجزائر)، معهد الاثار، جامعة الجزائر، العدد الأول، ٢٠٠٧، ص ١٣٨-١٤٨. انظر ايضا: CAUVET, «les Maraboutes: Petits Monuments Funéraires et Votifs du Nord de l'Afrique», Revue Africaine, 1923, P274, 293-294.
MARÇAIS.G, op-cit, P435-437.

[٦٤])- لحسن(رابح)، أضرحة الملوك النوميد والمور، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧، ص٢٨-٣٣، ٦٧-١٣٧. أنظر أيضا: عقون(العربي)، «ضريح تيبازة الملكي مقاربة في تاريخ وهوية هذا المعلم»، عن مجلة دفاتر البحوث العلمية، مجلة علمية محكمة تصدر عن

المنارة للاستشارات
www.

ج/ الأضرحة المفتوحة:

نجد لهذا النمط عدة أمثلة نذكر منها كلا من القبة الضريحية بالجامع الأخضر والقبة الضريحية بمدرسة سيدي الكتاني، والقبة الضريحية بخنقة سيدي ناجي مع بعض الاختلافات والتميز بين كل ضريح وآخر.

يتميز هذا النمط بوجود أربعة أعمدة أو دعامات تعلوها قبة، أو سقف هرمي الشكل أو مسنم، وأحيانا سقف خشبي، وهذه الأعمدة إما تقوم على الأرض مباشرة أو على مصطبة حجرية ترتفع على سطح الأرض، وتحتوي على المنزل المؤدي الى حجرة الدفن، ويتوسط التربة تركيبة الدفن.

وقد عرف هذا التخطيط خلال فترات سابقة للإسلام خاصة في سوريا والتي ترجع أقدم النماذج بها الى أوائل القرن ٤م، كما هو الحال في دانا وسرمدة ورويحا والبارة، واستمر بعد ذلك خلال العصر الإسلامي في العديد من الأضرحة كتلك التي نراها في مقابر اسوان، وانتشر هذا الطراز في المشرق والمغرب على السواء، بمصر وسوريا[٦٥] والمغرب كما هو الحال في بعض الأضرحة التي بنيت بتلمسان مثل ضريح السلطان (بداية القرن ٧هـ/١٣م)، ونماذج وجدت بفاس بالمغرب الأقصى منها أربعة أضرحة لخلفاء ابي الحسن المريني (٧٦٣-٨٠١هـ/١٣٦١-١٣٩٨م)[٦٦].

وقد شاع طراز الأضرحة المفتوحة المربعة والمضلعة خلال العصر العثماني بتركيا وفي سائر الولايات التابعة لها، ومن النماذج التي تنتمي الى هذا الطراز نذكر ضريح لالا شاهين باشا في كرماستي (ق٨هـ/١٤م) قرب بورصة، وضريح دولت شاه خاتون ام السلطان محمد جلبي (٨١٥هـ/١٤١٢م) في بروسة، ومقبرة

المركز الجامعي تيبازة، العدد٢، جوان٢٠١٣، ص٩١-١٠٤. الحاج الطاهر(زكية)، «الضريح الملكي الموريطاني بين الوصف العام والدراسة العلمية»، عن مجلة دفاتر البحوث العلمية، مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيبازة، العدد٢، جوان٢٠١٣، ص١٢٤-١٣٢. بوذراع(سفيان)، «دراسة معمارية فنية مقارنة بين ضريحي المدغاسن والضريح الملكي الموريطاني»، عن مجلة دفاتر البحوث العلمية، مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيبازة، العدد٢، جوان٢٠١٣،

[٦٥]- الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، العماة الإسلامية، المرجع السابق، ص٢٣٩-٢٤٠. انظر ايضا: سامح (كمال الدين)، المرجع السابق، ص ٩-١٠. عطية (فادية عطية مصطفى)، عمائر القاهرة الجنائزية خلال القرن ١٣هـ/١٩م دراسة أثرية معمارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار الإسلامية كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٤٢٤/٢٠٠٣، ص٥٣١-٥٣٣.

[٦٦]- كمال الدين (سامح)، المرجع السابق، ص ٩-١٠. انظر ايضا: MARÇAIS.G, op-cit, P300-301.

المنارة للاستشارات
www.

السلطان مراد الثاني وتربة ابراهيم باشا في فوتجا وغيرها، وفي مصر أمثلة عديدة منها قبة الأمير أغا كوكليان(١٠٩٤هـ/١٦٣٩م) ومدفن آمنة قادن(١١٧٠هـ/١٧٥٠م)[٦٧].

ويظهر التميز في أن كلا من القبتين الضريحيتين بالجامع الأخضر والمدرسة الكتانية غير مفتوحتين من جوانبهما الأربع، لكونهما تقعان في أطراف المعالم الملحقة بهما أو المجاورة لهما، حيث جاءت القبة الضريحية بالجامع الأخضر تقع بالركن الجنوبي الغربي يحيط بها الجدار الخارجي من جهتين وأضيف لها جدار يفصلها عن الغرفة التي تتقدمها بالضلع الشمالي، ولم يتبق منها مفتوحا سوى الضلع الشرقي المطل على المسجد، أما القبة الضريحية بمدرسة سيدي الكتاني فهي مسدودة من جهة واحدة والتي فيها يوجد الجدار الخلفي الخارجي للمدرسة، بينما بقيت جهاتها الثلاث المتبقية مفتوحة.

في حين تمثل القبة الضريحية بمقبرة سيدي مبارك مثالا للأضرحة المفتوحة، حيث تقوم القبة فوق اربع دعامات ذات مسقط مربع تعلوها عقود نصف دائرية تليها حنايا ركنية تسمح بتشكل قبة نصف كروية، في حين يستمر سقف المقبرة بالأقبية في باقي الأجزاء.

ومن مظاهر التميز أيضا عن الطراز التركي للقباب المفتوحة هو وجود ملاحق إضافية للقبة، ففي القبة الضريحية بالجامع الأخضر ألحقت غرفة تتقدم القبة يربط بينهما باب معقود في وسط الجدار المشترك ، أما القبة الضريحية بمدرسة سيدي الكتاني فنجد علي يمين ويسار القبة مساحتان مستطيلتان يعلوهما قبو نصف دائري، والى الجهة الجنوبية ألحقت بها غرفة.

وقد كانت ظاهرة إلحاق بعض الأجزاء المعمارية بالقباب الضريحية –بغض النظر عن كونها مفتوحة أو غير مفتوحة– معروفة في أمثلة عديدة في المغرب والمشرق، ففي الجزائر نرى لها أمثلة ترجع الى فترة سابقة للعصر العثماني كما هو الحال في قبة سيدي ابراهيم (٧٦٥هـ/١٣٦٤م) وضريح سيدي أبي مدين[٦٨]، وفي العصر العثماني نذكر ضريح سيدي عبد الرحمن(أنظر المخطط رقم ٨) و ضريح سيدي

---

[٦٧])– اوقطاي (آصلان آبا)، المرجع السابق، ص ٢١٦، ٢١٧. انظر ايضا: الحداد (محمد حمزة إسماعيل)، العمارة الإسلامية، المرجع السابق، ص٢٣٩–٢٤٠. عطية (فادية عطية مصطفى)، المرجع السابق، ص٥٣١–٥٣٣. ARIK.O, op-cit, P137.

[٦٨])– لعرج (عبد العزيز)، المرجع السابق، ج١، ص٣٦٦–٣٧١. بورويبة (رشيد)، الطراز الموحدي، المرجع السابق، ص ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١. انظر ايضا: BOURUIBA.R, op-cit, P192-195, 279-281. MARÇAIS.G, op-cit, P301.

المنارة للاستشارات
www.

محمد (١٢٠٦هـ/١٧٩١م) بمدينة الجزائر[٦٩] وضريح الباي مصطفى بوشلاغم (١٠٩٨ ١١٤٦هـ/١٦٨٦-١٧٣٤م) بمستغانم (١١٢٦هـ/١٧١٤م)[٧٠].

أما بالنسبة للمشرق فمن أمثلتها بمصر نذكر قبة علاء الدين كجك (٧٤٧هـ/١٣٤٦م) التي يتقدم ضلعها القبلي إيوان، وألحقت مساحة مستطيلة مسقفة بسقف خشبي بقبة اولجاي اليوسفي تنفتح على مربع القبة بباب، وقبة الأمير يوسف آغا الحبشي (١٠١٣هـ/١٦٠٤م)، وقبة الأمير كتخذا (١١٦٧هـ/١٧٥٣م)[٧١].

ومما تتميز به هذه الأضرحة المفتوحة بانها أضرحة عائلية، ففي القبة الضريحية بالجامع الأخضر دفن مؤسس الجامع وابنه و حفيده، بينما دفن في القبة الضريحية بالمدرسة الكتانية صالح باي وأفراد من عائلته، ودفن في القبة الضريحية بمقبرة خنقة سيدي ناجي عدد من أفراد عائلة سيدي مبارك.

وقد عرفت بلاد المغرب والأندلس المدافن العائلية منذ القرون الأولى، حيث تجمعت بعض المدافن بجوار القصور مثل روضة قصر قرطبة، و روضة قصر الحمراء وروضة قصر اشبيلية، ومن الأمثلة على هذا النوع بالمغرب الأقصى المقبرة الملكية المرينية بسلا والتي كانت تتشكل من أربع قباب ضريحية ومسجدين، ومقبرة السعديين بمراكش[٧٢]، وبالجزائر نشأت عدة مقابر عائلية على غرار مقبرة سيدي أبي الحسن بتلمسان، ومقبرة سلاطين بني زيان بجوار مسجد سيدي ابراهيم، ومقبرة سيدي عبد الرحمن بالجزائر، ومقبرة آل الفكون بقسنطينة[٧٣].

و ترجع ظاهرة القبور المجمعة في مدافن خاصة الى حضارات سابقة للإسلام على غرار ما كان شائعا في العصر الفرعوني، وفي الحضارة الإسلامية كان ظهورها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها ثم دفن الى جواره الخليفة ابو بكر وعمر بن الخطاب[٧٤]، ومن ثم انتشرت هذه الظاهرة وتعددت القبور داخل قبة واحدة وقد يلحق مدفن بالقبة الضريحية الأم، أو تبنى مجموعة من القباب تدفن فيها أفراد العائلة على غرار ما كان شائعا في

---

٦٩)- بن بلة (خيرة)، المرجع السابق، ص١٥٨-١٦٠.

٧٠)- بلجوزي (بوعبد الله)، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص ٥٤-٥٥.

٧١)- عفيفي (محمد ناصر محمد)، المرجع السابق، ص ٤٧٠-٤٧١.

٧٢)- ابو رحاب (محمد السيد محمد)، المرجع السابق، ص ٤٧٢-٤٧٣. أنظر أيضا:
MARÇAIS.G, op-cit, P301. ROUSSEAU.G, «Descriptions du Cimetière et des Qoubbas», in : Le Mausolée des Princes Sa'diens à Marrakech, Paris, 1925, PXIII-XXII.

٧٣)- مزوز (عبد الحق)، المرجع السابق، ص٢٧.

٧٤)- عفيفي (محمد ناصر محمد)، المرجع السابق، ص ٥٠٠-٥٠٢.

المنارة للاستشارات
www.

مختلف أنحاء العالم الإسلامي مثل ما هو الحال في مدفن سليمان آغا الحنفي (١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) ومدفن الأسرة التيمورية(١٢٣١هـ/١٨١٦م)، كما توجد له أمثلة بالهند مثل ضريح ميرزا عزيزا كوكلتاس(١٦٢٣ ١٦٢٤م)، والمشكل من مساحة مربعة تعلوها ٢٥ قبة يوجد في أسفل كل قبة منها قبر[٧٥].

ومما تتميز به الأضرحة المدروسة خلو الكثير منها من عنصر **المحراب**، فيما عدا ضريح سيدي عبدالرحمن(أنظر الصورة رقم ٨) وضريح سيدي أمحمد بمدينة الجزائر، وضريح سيدي ابراهيم بن التومي بعنابة والذي يبدو أن محرابه تم اضافته بعدما تحول الضريح الى مسجد، وقد كانت ظاهرة خلو الأضرحة من المحاريب معروفة في المغرب والمشرق، ففي المغرب نجدها في كل من قبة سيدي ابراهيم (٧٦٥هـ/١٣٦٤م) وضريح سيدي أبي مدين بتلمسان[٧٦]، وضريح الباي مصطفى بوشلاغم (١٠٩٨-١١٤٦هـ/١٦٨٦-١٧٣٤م) بمستغانم (١١٢٦هـ/١٧١٤م) [٧٧].

وفي مصر يعود هذا الشكل من الأضرحة الى العهد الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م) مثلما هو الحال في القباب السبع المؤرخة بسنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م فيما عدا واحدة منها[٧٨]، واستمر هذا التقليد خلال العهد المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) الذي بلغ فيه عدد القباب الخالية من المحاريب أربعة عشر قبة منها قبة احمد المهمندار (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) وقبة شيخو (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، وقبة السلطان برسباي بالصاغة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م)، وفي العهد العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ/١٥١٧-١٨٠٥م) عدة أمثلة منها قبة جاهين الخلوتي (٩٤٥هـ/١٥٣٨م)، والقبة الملحقة بجامع محمد قرا باشا (١١١٣هـ/١٧٠١م)، وقبة الشيخ رمضان (١١٧٥هـ/١٧٦١م)[٧٩].

---

[٧٥])- عطية (فادية عطية مصطفى)، المرجع السابق، ص٥٤٣-٥٤٤. انظر ايضا: محمد علي (احمد رجب)، تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٥٥-١٥٧.

[٧٦])- لعرج (عبد العزيز)، المرجع السابق، ج١، ص٣٦٩-٣٧١. انظر ايضا: BOURUIBA.R, op-cit, P192-195, 279-281. MARÇAIS.G, op-cit, P301.

[٧٧])- بلجوزي (بوعبد الله)، المرجع السابق، ص ٥٤-٥٥.

[٧٨])- يوسف (محمود مرسي مرسي)، العمائر الاسلامية الدينية والمدنية الباقية في مدينة دمشق خلال العهدين الزنكي والأيوبي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الاسلامية، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٤٢٣/٢٠٠٢، ص٢٥٦.

[٧٩])- عفيفي (محمد ناصر محمد)، المرجع السابق، ص ٤٦٢-٤٦٣.

المنارة للاستشارات
www.

كما كانت بدمشق معظم التربة خالية من المحراب بداية من العهد الزنكي (٥٤٩ ٥٦٩هـ/١١٥٤-١١٧٤م)، ومن امثلتها التربة النجمية (٥٤٩-٥٦١هـ/١١٥٤-١١٦٥م) والتربة الخاتونية (٥٧٧هـ/١١٨١م)[٨٠].

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن القول بأن الأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني شهدت خلال العهد العثماني انتشارا واسعا غير مسبوق وربما يرجع الأمر إلى التغيرات التي شهدتها المنطقة بعد الدخول العثماني، وانتشار الزوايا والصوفية، فضلا عن الاهتمام البالغ الذي أولاه الحكام لهذا النوع من العمائر.

اما من الناحية التخطيطية فيظهر بأن الأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني عرفت أربعة أنماط، تتمثل في النمط المربع تعلوه قبة، والنمط الدائري تعلوه قبة، والنمط المفتوح تعلوه قبة، وقد تكون هذه الأضرحة ملحقة بمسجد أو زاوية أو مدرسة أو تكون مستقلة.

ومن خلال هذه الأنماط يبدو ان الأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني شهدت استمرار التقاليد المعمارية التخطيطية التي كانت معروفة قبل العهد العثماني، كالنمط المربع والنمط المفتوح، إلا أن أهم ميزة لم نجد لها مثالا قبل العهد العثماني هو النمط الدائري تعلوه قبة، وهو نمط قد يكون من الأنماط الفريدة ليس في الجزائر فقط وإنما في بلاد المغرب وقد تكون في العالم الإسلامي كله، وقد اشرنا إلى أن الأصول التخطيطية لهذا النمط ربما تكون تأثرا بالنمط التخطيطي للأضرحة التي كانت معهودة في شمال إفريقيا خلال فترات ما قبل التاريخ والفترات القديمة.

وقد لا يظهر التأثير العثماني في الأضرحة بالجزائر إلا في دخول بعض العناصر المعمارية والفنية وتراكيب القبور وشواهدها، التي شهدت على عكس ما كان معهودا دخول الشواهد ذات العمائم، فضلا عن استخدام الرخام في تراكيب القبور والشواهد وزخرفتها بزخارف متنوعة نباتية وهندسية ورمزية وكتابية، وهو الجانب الذي آثرنا التطرق إليه في دراسة لاحقة لما لها من أهمية.

وإلى جانب الاهتمام بزخرفة تراكيب وشواهد القبور اهتم الفنان بزخرفة الأضرحة بزخارف جصية وبلاطات خزفية التي تعد من أجمل أمثلتها ما نراه في ضريح سيدي عبدالرحمن بمدينة الجزائر، وهي ظاهرة دخلت مع العثمانيين إلى الجزائر.

[٨٠])- يوسف (محمود مرسي مرسي)، المرجع السابق، ص٢٥٥-٢٥٦.

المنارة للاستشارات
www.

ملحق المخططات:

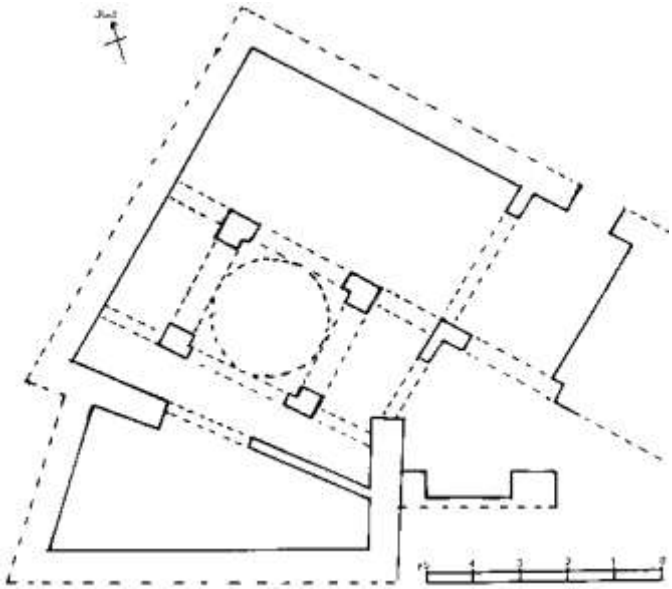

المخطط ١: مخطط مقبرة سيدي مبارك(عمل الباحث)

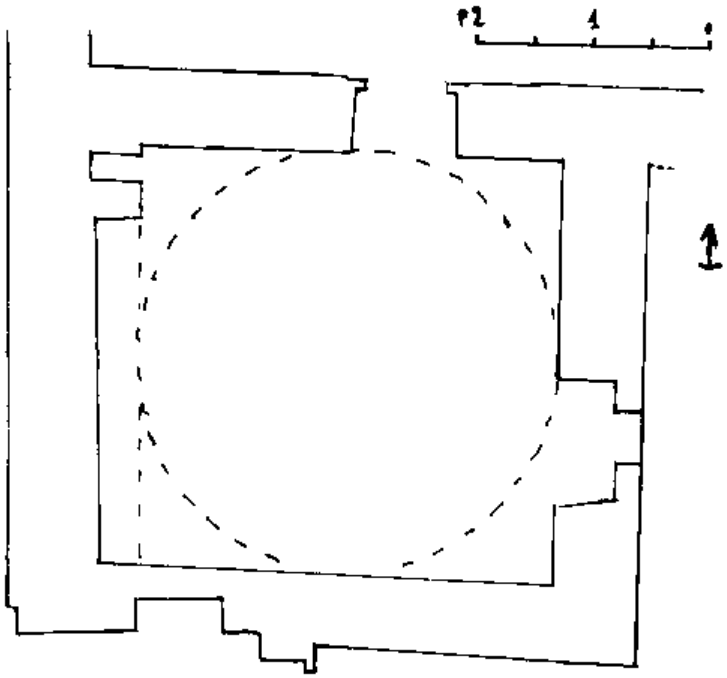

المخطط ٢: مخطط ضريح سيدي المبارك (عمل الباحث)

المنارة للاستشارات
www.

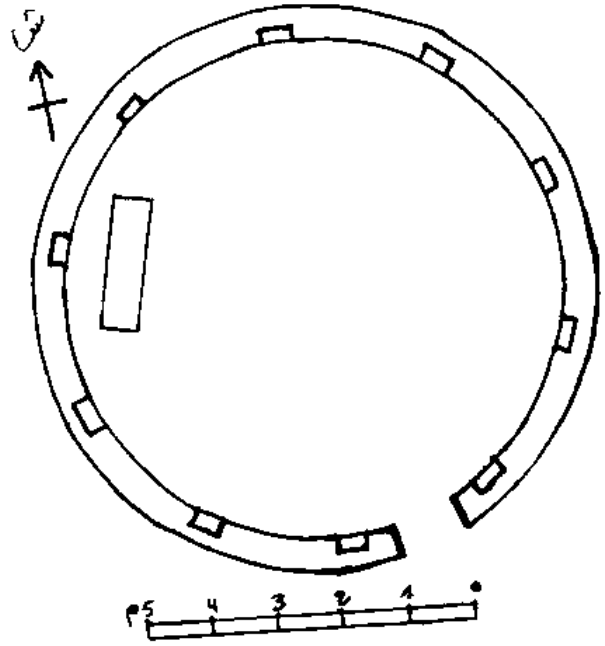

المخطط ٣: مخطط ضريح سيدي السعد(عمل الباحث)

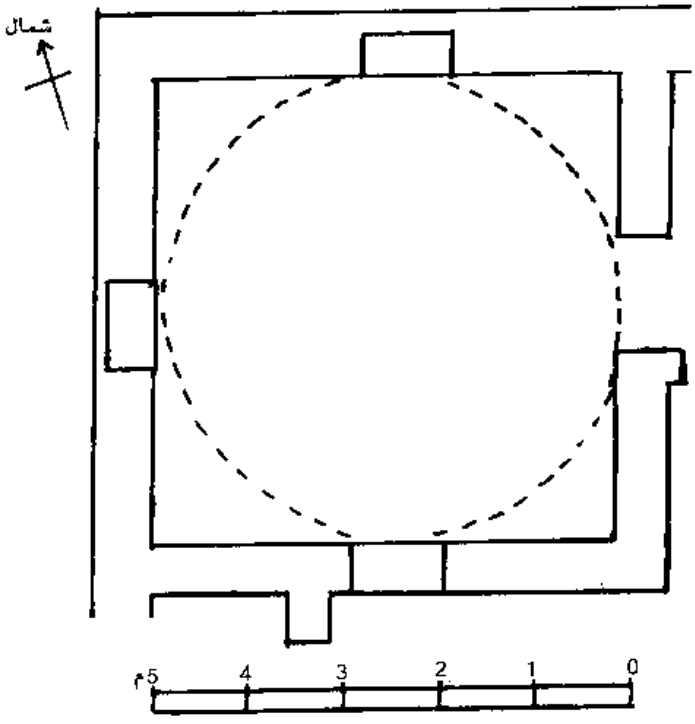

المخطط ٤: مخطط ضريح الزاوية الحسينية(عمل الباحث)

المنارة للاستشارات
www.

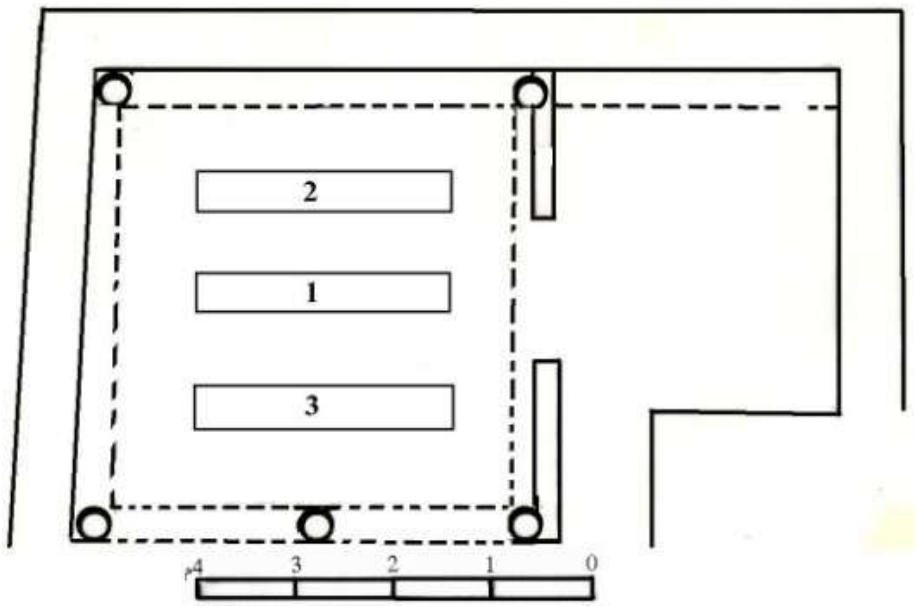

المخطط ٥: مخطط القبة الضريحي الضريحية بسيدي الكتاني(عمل الباحث)

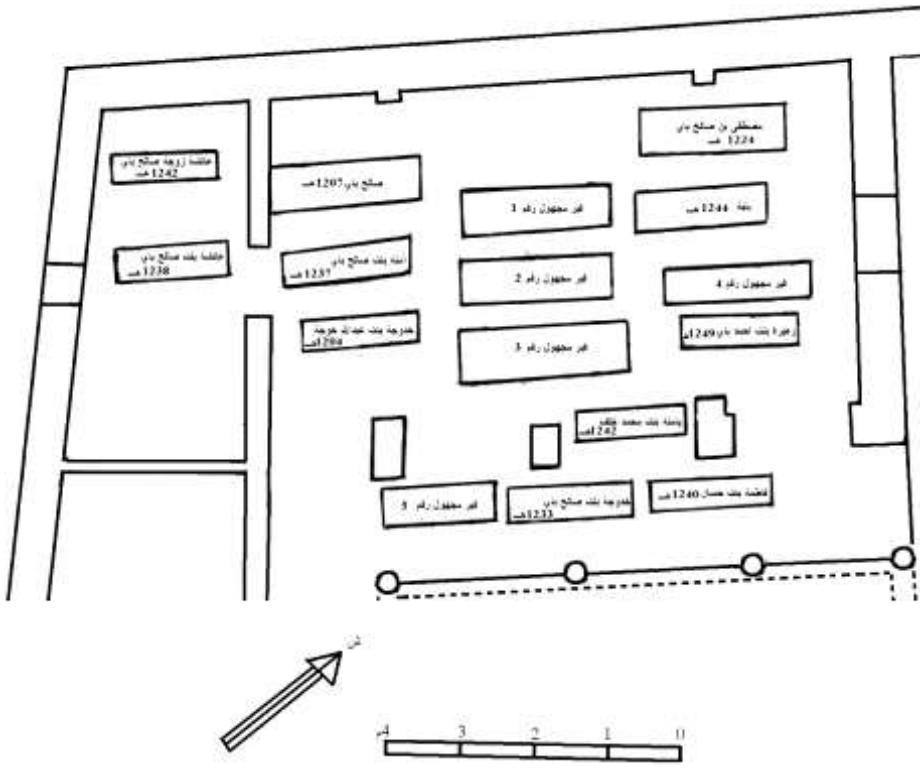

الشكل ٦: مخطط القبة للجامع الأخضر(عمل الباحث)

المنارة للاستشارات
www.

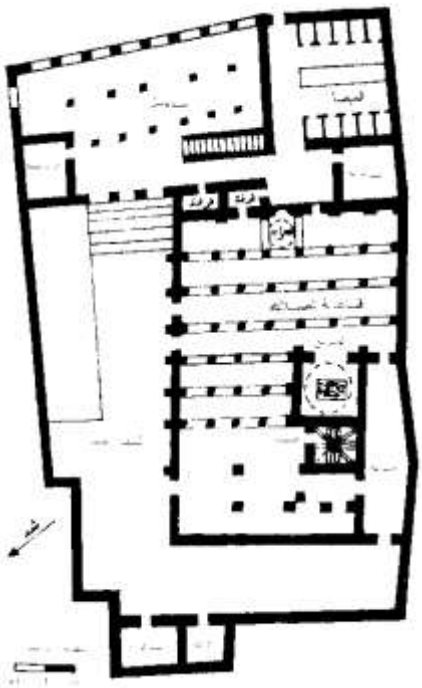

المخطط ٧: مخطط جامع سيدي عقبة يظهر فيه موقع الضريح(عنى شهبي)

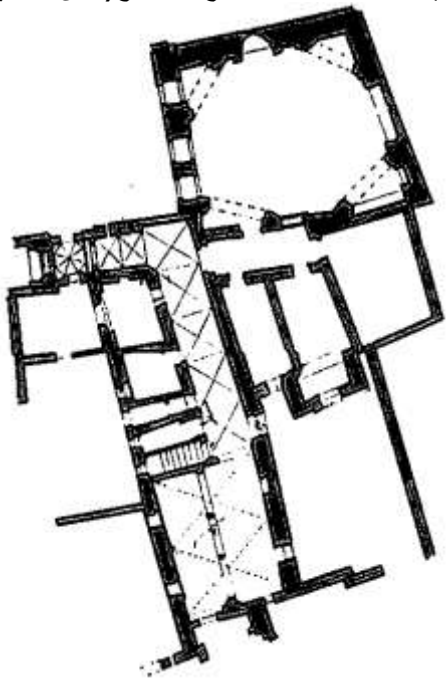

المخطط ٨: مخطط ضريح سيدي عبدالرحمن وملحقاته (عن بن بلة)

المنارة للاستشارات
www.

ملحق الصور: (تصوير الباحث برخصة):

الصورة ١: منظر خارجي لضريح سيدي ابراهيم بن التومي

الصورة ٢: منظر داخلي لمقبرة سيدي مبارك

المنارة للاستشارات
www.

الصورة ٣: ضريح سيدي المبارك

الصورة٤: منظر خارجي لضريح سيدي السعد

المنارة للاستشارات
www.

الصورة ٥: منظر خارجي لضريح ثلاثة أسود بميلة

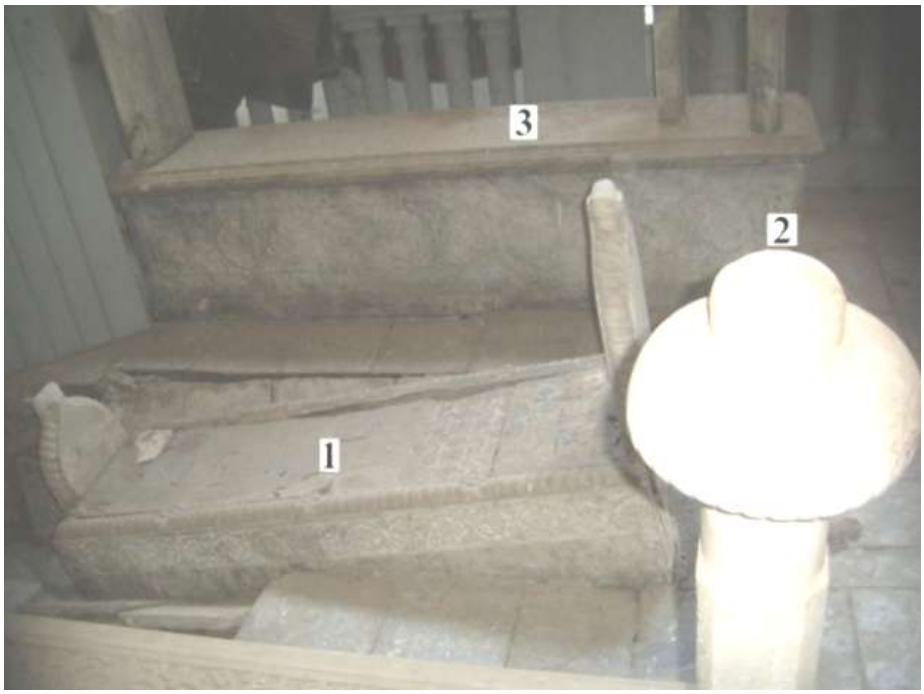

الصورة ٦: قبور القبة الضريحية للجامع الأخضر.

المنارة للاستشارات
www.

الصورة ٧: قبور القبة الضريحية لمقبرة صالح باي

الصورة ٨: منظر داخلي لضريح سيدي عبدالرحمن

المنارة للاستشارات
www.

The shrines of Algeria during the Ottoman period

Prof. Abdelkader DAHDOUH

Abstract:

During the ottoman era many mausoleum have been constructed in Algeria. This monuments still conserve its architecture art and design. Through these vestiges many design patterns belonging to the ottoman era in Algeria can be identified. Such as the square type with a dome on the top of it and the circletype with a dome and the open type supported with pillars with columns on top and a dome. The mausoleum can be consisted with annexes such as SidiAbderahman Mausoleum in Algiers that includes a mosque with a minaret as well as diverse architecture components such as the domes and its ornaments.

We would like to clarify these aspects through this paper to demonstrate the architecture types and the artistic characteristics of the mausoleums in Algeria during the ottoman era compared to the mausoleum in the Islamic world.

المنارة للاستشارات

www.